



فكرة وجيزة  
الظواهر النفسية

عبد الرحمن إبراهيم

## إهداء

إلى ... المتهورين في طريق نجاتهم ...  
والمتسرعين في اتخاذ قراراتهم ...  
والمتعسرين في إبداء آرائهم ...  
إلى ... المتشوقين .. لفهم سلوك بني البشر ...  
إلى ... من يشتري الأمل .. والسكينة .. والطمأنينة ...  
إلى ... كل طفل كبير .. يمد يده طالباً العون والمساعدة ...

عبد الرحمن

## الفهرس

5	مقدمة الطبعة الثانية
19	تقديم
21	بين يدي الكتيب
26	المدخل...
33	الفصل الأول: الطبع والشخصية
44	الفصل الثاني: تصنيف اضطرابات الشخصية
68	الفصل الثالث: اضطراب الشخصية الوسواسي القهري
77	الفصل الرابع: اضطراب الشخصية المستيرياني..
84	الفصل الخامس: اضطراب الشخصية المدمر لذاته (المازوخية)
88	الفصل السادس: اضطراب الشخصية السادي
91	الفصل السابع: اضطراب الشخصية الاكتئابي
96	الفصل الثامن: اضطراب الشخصية الرهابي (المتحاشي)
101	الفصل التاسع: اضطراب الشخصية الزوربي.
107	الفصل العاشر: اضطراب الشخصية الفصماني
111	الفصل الحادي عشر: اضطراب من النمط الفصامي
116	الفصل الثاني عشر: اضطراب الشخصية ذات المزاج الدوربي.

121	الفصل الثالث عشر: اضطراب الشخصية الحدي (الحدودي)
132	الفصل الرابع عشر: اضطراب الشخصية النرجسي
138	الفصل الخامس عشر: اضطراب الشخصية الاعتمادي
141	الفصل السادس عشر: اضطراب الشخصية العدوانية السلبية .
145	الفصل السابع عشر: اضطراب الشخصية المعادي للمجتمع
163	الفصل الثامن عشر: اضطرابات الشخصية التي تحتاج المزيد من الدراسة البحث.
165	الفصل التاسع عشر: لمحة عامة عن المعالجات الطبية النفسية
173	الخاتمة
175	ملحق: فحص الشخصية الذاتي

## مقدمة الطبعة الثانية

لا أحب أن أعيد طبع كتيبي العلمية إلا إذا استجد شيء ذو أهمية أو فائدة.. وخلال أربع سنوات على صدور الطبعة الأولى من كتيبي هذا فكرة وجيزة عن اضطرابات الشخصية كان ضغط الزملاء والأحبة والأصدقاء متواصلًا لإصدار طبعة ثانية ولو بتعديلات طفيفة لعدم توفر نسخ من الكتاب بعد طباعته بأشهر عدة ولقلة المراجع العربية في هذا الميدان.. ونزولاً عند رغبتهم حاولت أن أقدم الطبعة الثانية بتعديلات جذرية ..

وفقدت أثناء ذلك الكثير من الأحبة ممن لهم في القلب والوجدان ما أعجز عن التعبير عنه ولهم من اليد البيضاء عندي الشيء الكثير، فكان رحيل من علمت فيه الكفاح والعفة و الصدق فضيلة القاضي صالح علي والد صديقي؛ الخبير الدولي في جراحة القلب عند الأطفال البروفسور حسان.. وشقيقه خبير الجراحة العصبية الأستاذ الدكتور محمد..

وفقدت بعد ذلك بأقل من شهرين جدي لأبي تلاها بأيام ثلاثة رحيل عمي ثم بعد أشهر أربعة رحيل جدي لأبي.. وأعترف بأنني نذفت روحي مع دموعي على غياب الراحلين واستحال فؤادي إلى عش للأمنيات، وغدوت أهرب إلى أزقة الأفكار ودهاليز الذكريات وأطوف طرقات الخيال ويبقى طيف الراحلين أمامي.. يولد اللوعة والأسى..

وأثناء التحضير للطبعة الثانية وردتني ملاحظات وأراء غالية، منها أن كتيبي هذا لم يتحدث عن الشخصية الطبيعية ولم يتطرق إلى شخصية

الشخصية الطبيعية: لا يوجد اتفاق بين الدارسين والمعالجين والباحثين في كافة أنحاء العالم على قائمة العناصر والسمات التي من خلالها يمكننا استنتاج الأوصاف الدقيقة للشخصية الطبيعية الناضجة والمتكاملة نفسياً أو التي يمكن أن نطلق عليها صفة السوية

العابرة وهذا صحيح، فالحديث عن الشخصية الطبيعية أصعب بكثير من التحدث عن شخصية مضطربة والأصعب منها التحدث عن شخصية العبقري، مع العلم بأن هذا الكتيب اختص باضطرابات الشخصية، والحديث عن الشخصية الطبيعية وشخصية العابرة يحتاج كل منها إلى كتب لتوضح معالم وسمات كل منهما، ومع ذلك آثرت أن أورد في هذه المقدمة لمحة عن كل من الشخصية الطبيعية والشخصية العبقرية..

### ■ الشخصية الطبيعية:

لا يوجد اتفاق بين الدارسين والمعالجين والباحثين في كافة أنحاء العالم على قائمة الخصائص والسمات التي من خلالها يمكننا استنتاج الأوصاف الدقيقة للشخصية الطبيعية الناضجة والمتكاملة نفسياً أو التي يمكن أن نطلق عليها صفة السوية، فالصحة والسواء في الطب النفسي والعقلي يختلف عنه في بقية فروع الطب الأخرى، إذ يكفي في كافة فروع الطب أن يعود المريض بوضعه الصحي إلى ما قبل المرض، وهذا مقبول إلا في الطب النفسي والعقلي فحالة المريض النفسية ما قبل المرض حقيقة هي مَرَضِيَّة، ففي حالة كسر مثلاً يعالج المريض ويثبت الكسر فترة حتى تشكل الدشبز ويعود العظم إلى ماكان عليه قبل الكسر بعد بضعة أسابيع أو أشهر على أبعاد تقدير، وفي حالة التهاب اللوزات يعالج المريض عرضياً بالمسكنات وخافضات الحرارة ومضادة الالتهاب والاحتقان وسببياً بالصادات ويعود المريض إلى سابق عهده قبل الإصابة والمرض في غضون أسبوعين على الغالب، أما في الطب النفسي فالأمر مختلف، فالصحة العقلية والنفسية لا تتوقف عند حدود الأعراض المرضية وغيابها، ولا على مجرد الخلو من الاضطراب والمرض إذ تتعدها إلى أن يتسم سلوك المريض النفسي بخصائص وصفات جديدة لم تكن متوفرة لديه يمكننا من خلالها أن نحكم

الصحة العقلية  
والنفسية لا تتوقف  
عند حدود الأمراض  
المرضية وغيابها، ولا  
على مجرد الخلو من  
الاضطراب والمرض إذ  
تتعدها إلى أن يتسم  
سلوك المريض النفسي  
بخصائص وصفات  
جديدة لم تكن  
متوفرة لديه يمكننا  
من خلالها أن نحكم  
بأنه تخلص من  
الأمراض المرضية أو  
على الأقل من معظمها

يمكنني أن أحكم  
مجموعة من الصفات  
التي يمكن اعتبارها  
مؤشراً مقبولاً يمكننا  
بناء عليها استنتاج  
الأوصاف الدقيقة  
للشخصية الطبيعية  
الناضجة والمتكاملة  
نفسياً

بأنه تخلص من الأعراض المرضية أو على الأقل من معظمها، إضافة إلى كونه غدا يتصف بصفات لم تكن موجودة لديه، أهمها الايجابية والفاعلية والرضى النفسي والكثير من الصفات التي تدل على التوازن والاعتزان.. ويمكنني أن أضع مجموعة من الصفات التي يمكن اعتبارها مؤشراً مقبولاً يمكننا بناء عليها استنتاج الأوصاف الدقيقة للشخصية الطبيعية الناضجة والمتكاملة نفسياً وهذه الصفات أورد العديد منها الأستاذ الدكتور عبد السلام ابراهيم في كتابه الحكمة الضائعة العدد 280 من سلسلة عالم المعرفة الذي يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب في الكويت وهي:

- المقدرّة على التحكم في المزاج والوجدان.
- المقدرّة على التصرف بتناسق ومرونة ومنطق دون تصلب وحرن..
- المقدرّة على ضبط النفس في مختلف الظروف والمواقف الحياتية..
- المقدرّة على تقبل المرء لذاته ومحاولة تجاوز أخطائه وعثراته بمنطق واعي وأخلاق حميدة..
- المقدرّة على مقاومة كافة أنواع وأشكال الضغوط، والقدرة على معالجة نتائجها دون المساس بتكامل الشخصية..
- المقدرّة على التطور والنمو في الشخصية وفق الحاجات الشخصية دون الإخلال بمتطلبات التكامل والتوافق مع الآخرين..
- المقدرّة على اتخاذ المواقف والقرارات السليمة بصورة مستقلة ..
- المقدرّة على تعديل الأخطاء وجوانب الضعف والقصور النفسي والاجتماعي..
- وجود احساس متميز بالهوية والذاتية..
- المقدرّة على الإدراك السليم للواقع دون تشويهه، بما في ذلك الوعي الواقعي للامكانيات الشخصية والقدرات الذاتية، مع الإحساس بمشاعر ودوافع وحاجات الآخرين..

المقدرة على التحكم  
في المزاج والوجدان.  
المقدرة على التصرف  
بتناسق ومرونة ومنطق  
دون تصلب وحرن..

المقدرة على تقبل  
المرء لذاته ومحاولة  
تجاوز أخطائه وعثراته  
بمنطق واعي وأخلاق  
حميدة..



- المقدرة على التوافق في أداء المهمات والواجبات..
- المقدرة على التعبير عن المشاعر الايجابية كالحب والحنان والعطف ... الخ..
- المقدرة على الفعالية في أدوار الحياة كابن وأخ وزوج وأب لأسرة وصديق وزميل ضمن مجموعة، إضافة إلى المهارات الاجتماعية ..
- المقدرة على البحث عن دور ذو معنى في الحياة..
- المقدرة والمهارة في إقامة علاقات اجتماعية دافئة وإيجابية مقبولة من الشخص نفسه وغير مرفوضة أو مستهجنة من الآخرين..
- المقدرة على التوافق العالي مع الذات والمحيط.
- المقدرة على التعلم وتنمية القدرات العقلية وتوظيفها بشكل يناسب الحاجات المؤقتة والدائمة واكتساب الخبرات..
- المقدرة على توظيف الامكانيات الفردية لتحقيق ذات المرء والتوافق والانسجام مع متطلبات استمرار الحياة ..
- المقدرة على ضبط الانفعالات السلبية من عدوانية وقلق وغضب ومخاوف.
- المقدرة على تبني قيم ومعايير وفلسفة عامة من تصورات وقيم ومفاهيم ومعتقدات في الحياة، تسمح بالتصرف بكفاءة ونجاح وأخلاق نبيلة بما يتناسب وامكانيات المرء...
- المقدرة على توظيف فكر الشخص لتحقيق التوافق في الحياة الاجتماعية والسلوكية والنفسية بحب..
- النضوج في المعايير الأخلاقية (من استقامة وأمانة و مروءة وعفة وطهارة وصدق،.. الخ) ..

المقدرة على مقاومة  
خافة أنواع وأشكال  
الضغوط، والقدرة  
على معالجة نتائجها  
دون المساس بتكامل  
الشخصية..

المقدرة على الإدراك  
السليم للواقع دون تشويه،  
بما فهي ذلك الوعي  
الواقعي للامكانيات  
الشخصية والقدرات  
الذاتية، مع الإحساس  
بمشاعر ودوافع وحاجات  
الآخرين..

### ■ الشخصية العبقريّة:

أما الشخصية العبقريّة فقد ربطت في ذهن الناس بأنها غير طبيعية وهي ربما نوع من أنواع الجنون وكثيراً ما يتردد أمامنا (أن فلان نتيجة نكاهه قد جن وفقد عقله)، والتفكير على هذا المنوال له ما يبرره للوهلة الأولى فمن خلال استعراض سريع وموجز لعمالقة في الأدب والعلم والسياسة وغيرها نلاحظ أن الكثير من هؤلاء قد عانى قي فترة ما من فترات حياته شيئاً من الاضطراب النفسي، ولكن يجب التفريق بين المشهور والعبقري فالحقائق تشير إلى أن قلة من المشاهير هم عباقرة، ولقد كتب الطبيب النفسي الشهير رونالد فيف R.Fieve الذي ارتبط اسمه باكتشاف عقار الليثيوم Lithium كتاباً تحدث فيه عن بعض المشاهير فابراهيم لينكولن Abraham Lincoln الرئيس الأميركي السادس عشر عانى من الاكتئاب الثنائي القطب أو كما دعاه فيف الجنون الدوري الخفيف، وتيودور روزفلت Theodor Roosevelt عانى من نفس المرض ولكن كان الدور الهوسي الشديد هو الغالب على حياته، وونستون تشرشل Winston Churchill كان يصل في فترات الهوس إلى مرحلة لا يتوقف فيها عن الكلام ولا يترك للأخريين أي فرصة للحديث أو ابداء أي رأي مهما كان، ويغدو متسلطاً وينطلق بمشاريع ومهام لا يمكنه متابعتها ثم يترك لمعاونيه إنهاؤها سلباً أو ايجاباً، مما جعل غريمه السياسي لويد جورج يطالب بوضعه تحت المراقبة، وفترة الهمود التي كان يتعرض لها كانت طويلة نسبياً ثم غدت طوال حياته وكانت واسمة لسنواته الأخيرة فكان يسميها الكلب الأسود black dok لوصفه المعاناة التي كانت تجثم على كاهله، وايزنهاور وجونسون كل منهم اصيب باضطرابات نفسية جسمية، و جمي كارتر عانى من الاكتئاب الشديد خاصة بعد الازمة مع إيران ورونالد ريغان أصيب بالنسيان المفاجيء مرات متكررة وعديدة عدا

المقدرة على المعالجة  
في أدوار الحياة  
كأبن وأخ وزوج وأب  
لأسرة وصديق وزميل  
ضمن مجموعة، إضافة  
إلى المماراة  
الاجتماعية ..

المقدرة على تبني  
قيم ومعايير وفلسفة  
عامة من تصورات  
وقيم ومفاهيم  
ومعتقدات في الحياة،  
تسمح بالتصرف  
بكفاءة ونجاح وأخلاق  
نبيلة بما يتناسب  
وامكانيات المرء...

عن الاضطرابات النفسية الجسمية والنوم المفاجيء أثناء الاجتماعات والشخصية الاعتمادية الكبيرة على معاونيه، إلى أن أصيب بعته الزهايمر، وجورج بوش الأب عانى من الهوس والاضطرابات النفسية الجسمية مما أدى إلى تقيئه على رئيس وزراء اليابان عند زيارته لليابان إضافة إلى تعرضه للإغماء ت مراراً وتكراراً في مواقف واجتماعات عديدة، ووليام كلينتون فوصف من أسرته ومقربيه بالطيش والنزق والاندفاع وسلوكه وفق مذكراته يوضح اضطراب تعدد الشخصيات الذي يعاني منه بما فيها الكذب والخداع والسلوك الجنسي غير اللائق والمشين مع **مونيكا**، وجورج بوش الابن عانى من الإدمان على المخدرات والكحول في فترة من حياته وأعتقل بسبب ذلك، كما يلاحظ معاناته من اضطراب الشخصية الاعتمادي..

وفي عالم الأدب **فرجينيا وولف** عانت من الاكتئاب وكذلك أرنست همنغواي صاحب رائعة الشيخ والبحر ولمن تقرر الأجراس فعانى من الاكتئاب والإدمان كما أن ابنته انتهت منتحرة وحفيدته حاولت الانتحار وكل من **وولف وهمنغواي** أنهى حياته بالانتحار، وكافكا وكييس وغوته جميعهم عانى المر مع الاكتئاب، وبعضهم احتجز في مصحات عقلية كباوند وفان كوخ وهولدرين الذي قضى 40 عاما في مشفى للأمراض العقلية، والبعض أنهى حياته في تلك المصحات كساد وفيرغيسون وشومان وسيميتانا و**فرجينيا وولف**، ونيثشة الذي كتب "هكذا تكلم زرادشت" وفي عالمنا العربي نلاحظ أن كل من أنيس منصور ومحمود عباس العقاد وتوفيق الحكيم ونجيب محفوظ قد عانى من الاكتئاب و جبران خليل جبران لم يسلم من الاكتئاب أيضاً أما **ماري زيادة (مي)** معلوم كيف انتهت حياتها في مشفى الأمراض العقلية في لبنان (العصفورية)..

وتدل الدراسات والأبحاث إلى أن العباقرة الذين عانوا من الاضطراب

في عالمنا العربي  
نلاحظ أن كل من  
أنيس منصور ومحمود  
عباس العقاد وتوفيق  
الحكيم ونجيب محفوظ  
قد عانى من الاكتئاب  
و جبران خليل جبران لم  
يسلم من الاكتئاب  
أيضاً أما **ماري زيادة**  
(مي) معلوم كيف  
انتهت حياتها في  
مشفى الأمراض  
العقلية في لبنان  
(العصفورية)..

النفسي انحدروا من عائلات انتشرت فيها أنواع مماثلة من الاضطراب فألفرد أدلر المحلل النفسي الشهير وأحد تلامذة فرويد عانى من مرض عقلي ينحدر من أبوين كلاهما عانى من اضطراب ذهاني، والدة شارلي شابلي انتهت حياتها بمرض عقلي، والد ونستون تشرشل أصيب بذهان إضافة إلى الاكتئاب ثنائي القطب، ابن ألبرت أنشتين مات في مصحة للأمراض العقلية وليم جمس عالم النفس المعروف حاول الانتحار مراراً ووالداه كلاهما كان مصاباً باضطراب في الشخصية، والدا وليم رايبخ عالم التحليل النفسي كلاهما مات منتحراً، فريديريك نتشه تعرض أبوه لمرض عقلي، والدة جين فوندا ماتت منتحرة، الأخوات الثلاث شارلوت وآن واميلي برونتي كن مصابات باكتئاب ذهاني، أخت جون كنيدي أجريت لها عملية جراحية على الفص الجبهي لمنعها من نوبات العدوان والتدمير،... وفي العربية تحدث الدكتور علي كمال في كتابه فصام العقل عن العبقرية والمرض العقلي وكذلك الدكتور عبد السلام ابراهيم في كتابه الأنف الذكر.

على كل من خلال ماسبق وذكرت يمكننا أن نفهم كيف تم الربط بين الشهرة والعبقرية والمرض النفسي عبر التاريخ، وكان قد تبرع لامارتين وبيترون ولمبروز وغيرهم ومن بعدهم فرويد وأتباعه للترويج بأن العبقرية هي شكل من أشكال الاضطراب والمرض النفسي، ولكن الدراسات والحقائق التي توصل لها العلماء في السنوات الأخيرة تبين عكس ذلك، فقد أثبت:

- عدم صحة أن المريض العقلي يتسم بالعبقرية أو العكس..
- إن التصرفات والاضطرابات التي يمكن أن تتواجد عند بعض العباقرة تختلف عن التشوش الذهني والاضطراب الموجود عند المرضى النفسيين والعقليين..
- العباقرة المصابون بخلل نفسي يتوفر لديهم تاريخ عائلي وأسري من المرض والاضطراب النفسي، ويعاني فرد أو أكثر من أسرهم من

تدل الدراسات والأبحاث إلى أن العباقرة الذين عانوا من الاضطراب النفسي انحدروا من عائلات انتشرت فيها أنواع مماثلة من الاضطراب فألفرد أدلر المحلل النفسي الشهير وأحد تلامذة فرويد عانى من مرض عقلي ينحدر من أبوين كلاهما عانى من اضطراب ذهاني،

والدة شارلي شابلي انتهت حياتها بمرض عقلي، والد ونستون تشرشل أصيب بذهان إضافة إلى الاكتئاب ثنائي القطب

- اضطرابات مماثلة..
- العباقرة يتميزون بخصائص غير موجودة عند العاديين أو المرضى، كاستقلالية الرأي بمنطق وعقلانية راجحة، والميل للوحدة دون الانعزال أو التخلي عن الميول الاجتماعية وحب الآخرين، والجدية الحازمة مع التحلي بروح مرحة ولبقة....
- السير الذاتية لمن عانى من اضطراب نفسي من العباقرة تبين بأن النتائج العلمي أو الأدبي أو... كان في الفترات التي خلت حياتهم خلالها من الاضطراب، في حين كان انتاجهم معدوماً أو قليل جداً خلال فترات الاضطراب..
- العباقرة ينتجون أفضل أعمالهم الابداعية وهم في أفضل حالات الصحة النفسية والجسدية.
- من الملاحظات الهامة أن انتشار الاضطراب النفسي والعقلي بين العباقرة يتوقف على نوع تخصصهم، فهو مرتفع جداً بين الفنانين والرسامين والنحاتين والممثلين والمطربين إذا ما قورن مع بقية التخصصات....
- أحد أساليب العلاج النفسي المعاصر ما يدعى بالعلاج الإبداعي النفسي، ومن خلال التجارب تمكن العلماء من تحسين الصحة النفسية والعقلية للكثير من المرضى، من خلال هذا الأسلوب العلاجي المركب....
- الدراسات العالمية عن حالات الانتحار بينت بأن نسبة الانتحار أقل بكثير عن نسبتها لدى العاديين....
- كما أثبتت الأبحاث العالمية عدم وجود دلائل لـ (توهم المرض، الهوس، الاكتئاب) عند العباقرة، وكانت كافة الدلائل سلبية عندهم في كل من حالات الـ (الفصام، الشخصية المعادية للمجتمع، الزور والاضطرابات

إن التصرفات والاضطرابات التي يمكن أن تتواجد عند بعض العباقرة تختلف عن التشوش الذهني والاضطراب الموجود عند المرضى النفسيين والعقليين

العباقرة المصابون بخلل نفسي يتوفد لديهم تاريخ عائلي وأسري من المرض والاضطراب النفسي، ويعانني فرد أو أكثر من أسرهم من اضطرابات مماثلة..

• التوهمية، الهستريا، الانطواء الاجتماعي)..ومن هنا يمكننا الفهم بأنه ليس كل مشهور في أي ميدان من الميادين هو بالضرورة عبقرى..

• آخر الدراسات تشير إلى أن العباقرة يستمرون في إنتاجهم على الرغم مما قد يتعرضون له من إحباط أو اضطراب.

ومن أهم السمات والصفات الشخصية للعباقرة: (الصدق، الشجاعة، الوعي، الموضوعية، النقد البناء، التصميم والعناد، تبني قيم مختلفة، النشاط، التحكم والسيطرة على ذاته ومحيطه ودون تسلط، الحساسية، الرغبة في التفوق، الدقة، الرقة، الوداعة، الجرأة، الثقة بالنفس، عدم المجارة والمجاملة مع التحلي باللباقة والأدب، الحياء، الجدية، الحزم، تبني الحلول الجذرية وليس المؤقتة (راديكالي)، البحث عن الأخطاء، حب المخاطرة، قوة الوجدان ونضوجه، الانجذاب للمهام الصعبة، الإحساس بالجمال والأناقة، الترتيب، النفور من القمع، تفضيل الأفكار المركبة، الفردية، الانطلاق وعدم التقوقع، المرح والميل للفكاهة دون استهزاء أو تندر، الميل للتأمل، تجنب الصراعات لمجرد الصراعات أو إثبات الذات، الإخلاص والتفاني، الوعي بالآخرين، تقدير الذات، استقلال التفكير، استقلال المحاكمة، حب الاستطلاع، حب السؤال، حب الوحدة دون انطواء أو عزلة، الحدس القوي، انخفاض الميول العدوانية، المثابرة، والصبر،...).

بقي أن أقول بأن هناك فرق شاسع بين المبدعين والمشاهير، فليس كل مشهور هو مبدع أو عبقرى في أي ميدان من الميادين والعكس صحيح أيضاً، ولهذا يجب عدم الخلط بين الشهرة والعبقرية.. وأرجو أن أكون قد بينت من خلال هذه المقدمة فكرة سريعة وموجزة عن الشخصية الطبيعية والشخصية العبقرية نزولاً عند رغبة العديد من الأحبة والأصدقاء ممن لهم في الفؤاد والوجدان الشيء الكثير.. وكان الله في عون إنسان هذا العصر

السير الذاتية لمن  
حانئ من اضطراب  
نفسى من العباقرة  
تبيين بأن النتاج العلمى  
أو الأدبى أو... كان  
هى المتراكم التى خلقت  
حياتهم خلالهما من  
الاضطراب، فى حين  
كان إنتاجهم معدوماً  
أو قليل جداً خلال  
فترات الاضطراب

الذي يتعرض فيه إلى كم كبير من الضغوط وتحاصره الأفكار والمشكلات من كل زاوية وهو يركض لتأمين قوته وقوت أسرته اليومي في عصر أهم ميزاته الازدحام والقلق والتوتر والابتعاد عن الحكمة والعقلانية والمنطق والعبث في كل القيم والمبادئ النقية حتى غدا العبث بالعقل البشري موضة وسلعة ولم تسلم البيئة (هواء وماء وتراب و... الخ) من العبث حتى غدت الآثار مرعبة ليس فقط على صحة الإنسان وإنما أصبحت تهدد الحياة بكل أشكالها على وجه كوكب الأرض، فلم يعد غذاء الإنسان طبيعياً، ولم يعد الهواء الذي يستنشقه نقياً... الخ، وترافق كل ذلك بتدني الاستقرار النفسي للكائن الإنساني بشكل كبير وأصبحت حالات الوفاة من منشأ نفسي تفوق بعدة أضعاف الوفاة لمجموع الأسباب الأخرى، وغدت مراجعة المراكز والمشافي النفسية مطلباً ملحاً، وأصبح القلق والتوتر والانفعال هو السلوك الغالب عند معظم البشر.

ورغم قدرة وكفاءة اللغة العربية على استيعاب مختلف أنواع العلوم والتي دعت الكثير من العلماء والباحثين عبر التاريخ من غير العرب ليتعلموا ويدرسوا ويؤلفوا بلغة الضاد... ثم انقطاع التأليف في عهد الاستعمار التركي ولم يزل إلى الآن رغم بعض المحاولات المتفرقة والجهود الفردية هنا وهناك.. ولم نزل في عالمنا العربي نحتاج إلى الكثير من التقدم خاصة في ميدان الأبحاث والصحة النفسية، ورغم ذلك هناك بدايات.. إذ بدأت منذ سنوات قليلة تظهر دراسات وأبحاث تبشر بالخير في مصر والبحرين والإمارات العربية المتحدة والكويت والسعودية ولبنان ففي الكويت الأستاذ الدكتور فريح العنيزي وفي السعودية الأستاذ الدكتور محمد فضل الخاني بمؤلفاته وأبحاثه الرائدة وكتابه الطريقة العربية لفحص الحالة العقلية الحاضرة (المأخوذ عن الطبعة التاسعة لمؤلفه البروفيسور وينغ) نموذجاً للتعاون العلمي العربي إذ

من الملاحظات العامة أن انتشار الاضطراب النفسي والعقلي بين العباقرة يتوقف على نوع تخصصهم، فهو مرتفع جداً بين الفنانين والرسامين والذاتيين والممثلين والمطربين إذا ما قورن مع بقية التخصصات...

لم نزل في عالمنا العربي نحتاج إلى الكثير من التقدم خاصة في ميدان الأبحاث والصحة النفسية، ورغم ذلك هناك بدايات.. إذ بدأت منذ سنوات قليلة تظهر دراسات وأبحاث تبشر بالخير في مصر والبحرين والإمارات العربية المتحدة والكويت والسعودية ولبنان

ساعده فيه أطباء نفس من السعودية والعراق والسودان أمثال عادل سليم من العراق وماجد الياسري ومحمد العجم.. وكذلك استقطبت السعودية العديد من خبراء الصحة النفسية العرب منهم الباحث الأستاذ الدكتور عبد السلام ابراهيم والذي يعمل حالياً أستاذاً ورئيساً لقسم العلوم النفسية بكلية الطب جامعة الملك فيصل وله العديد من الأبحاث والمؤلفات أهمها العلاج النفسي الحديث والاكنتاب والعلاج السلوكي للطفل مشاركة مع الدكتورة رضوى ابراهيم والدكتور عبد العزيز الدخيل ونشرت هذه المؤلفات في سلسلة عالم المعرفة الكويتية، أما في فلسطين فمعظم أطباء النفس الفلسطينيين تواجدوا في أميركا وأوروبا أو في دول الخليج والأردن والعراق، ومن بينهم الأستاذ الدكتور علي كمال الذي تواجد في إنكلترا ولبنان والعراق والأردن وله عدة مؤلفات من أشهرها فصام العقل، ورغم محاولاتي المتكررة لم تكفل جهودي بالنجاح بالإطلاع على حركة العلوم النفسية والطب النفسي في الكثير من الدول العربية، ولعل التشتت هو أكبر الفجوات التي يعانيتها علماء وأطباء النفس العرب فلا وسيلة تربطهم وتعينهم على تنسيق أبحاثهم وجهودهم فردية بمعظمها (عبد الرحمن ابراهيم 2003)..

ولقد بين الأستاذ الدكتور محمد عماد فضلي التحيز للنموذج الغربي عند الغالبية العظمى من علماء وأطباء النفس العرب في العلوم الطبية وما له من مخاطر في اعتماده لتدريس المقررات الجامعية وفي رسائل الماجستير والدكتوراه (محمد عماد فضلي 2001).

وفي العقد الأخير بدأ جيل من الشباب العربي يتجه نحو استقلالية في البحث والتجربة والتأليف ففي مصر الدكتورة مي الرخاوي (مي الرخاوي 1992) والدكتورة سلوى طوبار (سلوى طوبار 1993) والدكتور صفوت فرج (صفوت فرج 1999) والدكتور مصطفى السعدني (مصطفى السعدني

الأهم في نظري العقل  
التجريبي والتحليلي  
المنفتح بعيداً عن  
التعصب والتصلب  
المسبق والذي لاحظته  
بعضاً منه في العديد  
من الأبحاث العربية  
المعاصرة خاصة في  
مصر



2002) والدكتور وائل أبو هندي (وائل أبو هندي 2003) وأبحاثهم في الوسواس القهري، ومن الكويت الدكتور فريح العنيزي (فريح العنيزي 1997) والدكتور توفيق عبد المنعم من البحرين (توفيق عبد المنعم 2000) لكن ما أخشاه هو التطرف الذي بدأت ألمس شيئاً منه، فلا بد من أخطاء وعثرات في هذا الطريق الشاق والطويل ولا بد من طيف متجانس حيناً ومتنافر أحياناً أخرى والأهم في نظري العقل التجريبي والتحليلي المنفتح بعيداً عن التعنت والتصلب المسبق والذي لاحظت بعضاً منه في العديد من الأبحاث العربية المعاصرة خاصة في مصر ولن أناقش متاهاتها هنا فالمهم هو السير في الطريق السليم ليعود بالفائدة المرجوة على الإنسان العربي عامة والمريض النفسي العربي خاصة (عبد الرحمن ابراهيم 2003)..

والآن وبعد انتشار تقنيات الأتمتة والحاسب والإنترنت غدت كافة المعلومات متوفرة عن كل شيء بأي لغة نشاء فبرامج الترجمة الحديثة لجميع اللغات تستطيع الترجمة الفورية بدقة تفوق 65 % وغدا العالم بأسره عبارة عن قرية صغيرة أين نحن من لغتنا ومرضانا ومن أبنائنا ومستقبلهم؟..

على كلٍ يلاحظ ازدياد عدد المراجعين للاستشارة النفسية مع قلة المراجع العربية وضبابية التشخيص وتعدد طرق وأساليب العلاج.. من هنا كانت فكرة كتابتي للموسوعة النفسية الصغيرة للسلوك الإنساني والتي بدأت كتبها ترى النور تبعاً علني أساهم في سد ثغرة من الثغرات الكثيرة في المكتبة العربية في هذا المجال وفي تفسير الأعراض والعلامات النفسية التي يشكو منها المريض ووضعها في إطار واحد ضمن لوحة سريرية محددة للوصول إلى حقائق التشخيص الدقيق وأسس المعالجة الناجحة، إضافة إلى رفع سوية وعي الإنسان العربي للاهتمام بصحته وصحة أسرته النفسية، إذ يكتنف الطب النفسي في البلاد العربية الكثير من الغموض والتشويق، وتثير العلوم

علينا عدم نسيان أن الإنسان الطبيعي يجب أن جزء من حياته بشكل غير منطقي لكنه طبيعي، أو ليس العلم جزء من حياتنا لكنه جزء غير خاضع لإرادتنا، وما يحدث مع المريض هو نوع من الحلم لكنه يعيشه بكل أبعاده بواقعية وهذا هو الفرق بين الطبيعي وغير الطبيعي

النفسية الكثير من التساؤلات المبهمة، وذلك يعود إلى ارتباط هذا المجال من العلوم بالكثير من دوافع سلوكنا وطباعنا وعثرات حياتنا وطرق تفكيرنا وتخبط عواطفنا وقبل كل شيء غموض الكثير من آلامنا التي نقف عاجزين لا حول ولا قوة لنا أمامها، هذا عدا عن الفضول الذي تخلقه حساسية فهم المرء لنفسه وللآخرين، إضافة إلى حب الإنسان لفهم نوايا الآخرين... ولكن علينا عدم نسيان أن الإنسان الطبيعي يحيا جزء من حياته بشكل غير منطقي لكنه طبيعي، أو ليس الحلم جزء من حياتنا لكنه جزء غير خاضع لإرادتنا، وما يحدث مع المريض هو نوع من الحلم لكنه يعيشه بكل أبعاده بواقعية وهذا هو الفرق بين الطبيعي وغير الطبيعي، فالحلم هو نوع من الجنون المشروع لكل إنسان لكن العقل هنا يحتوي هذا النوع من الجنون أما الفصام (وهو مرض ذهاني) مثلاً، فهو نوع من الجنون غير المشروع إذ أن الجنون هنا هو الذي يحتوي العقل وهذا بدقة ما نسميه الحالة المرضية أو الفصام.

محمد الرحمن

العلم هو نوع من  
الجنون المشروع لكل  
إنسان لكن العقل هنا  
يحتوي هذا النوع من  
الجنون أما الفصام  
(وهو مرض ذهاني)  
مثلاً، فهو نوع من  
الجنون غير المشروع  
إذ أن الجنون هنا هو  
الذي يحتوي العقل  
وهذا بدقة ما نسميه  
الحالة المرضية أو  
الفصام

## تعبية بقلم: الأديب الكبير حنا مينه

رغب إليّ الصديق الدكتور عبد الرحمن ابراهيم أن أكتب مقدمة لكتابة الذي اسماه فكرة وجيزة عن "اضطرابات الشخصية".

وهذا موضوع شيق لكنه يحتاج إلى اختصاص، فمعرفة النفس أم المعارف لأن النفس البشرية، في سكونها أو اضطرابها، في هدوئها أو قلقها، في همودها أو احتياجها، وبكلمة معرفة النفس الإنسانية، في كل حالاتها، من اصعب المعارف وأدقها، وأكثرها تشعباً، وأوسعها دوائر تنداح إلى غير مدى، ومثل هذه المعرفة، سواء كانت إعداداً وتأليفاً، أو تأليفاً خالصاً، تحتاج إلى ضلعة في علم النفس، ونجاعة في المعالجة، وهذين الشرطين يتوفران لهذا الكتاب القيم، غير المسبوق في اللغة العربية إلا نادراً، وبشكل مجزوء، لا تتأتى له الشمولية التي وأنتت هنا، بشكل فيه جهد ملحوظ ومشكور.

إن اضطراب الشخصية يعني الخلل النفسي فيها، وكل خلل نفسي له جانبان: بسيط ومركب ..

ومع البساطة تكون السهولة، وتكون الخطورة مع الحالة المركبة، وهذا الكتاب يعالج موضوعة اضطراب الشخصية من كل جوانبها، ويمكن من مطالعته، والأفضل دراسته، أن نلّم بهذه الموضوعة، لنكون على دراية بأسباب الاضطراب، وقدرة على الوقاية منها، وكفاءة في معالجتها، ومن هنا

يجتاح العالم تيار مادي  
رهيب، زلزل قيمه  
ومفاهيمه واستقراره،  
ووضعها في مصب  
العواصف والأمواج،  
وقد كان تأثير هذا  
كله شديداً على  
النفس الإنسانية،  
أدنى، ويؤدي، إلى  
اضطرابات هي  
الشخصية، تتسع يوماً  
بعد يوم، وتعمق  
باستمرار

أهمية معرفة الداء، والنفسي خصوصاً، وصولاً إلى فهم مصادره، وطرق محاذرتة، والتغلب عليه، وحتى الشفاء منه اذا ما كان في ذاتنا أو غيرنا. يقول المؤلف بحق: "يجتاح العالم تيار مادي رهيب، زلزل قيمه ومفاهيمه واستقراره، ووضعهها في مهب العواصف والأعاصير"، وقد كان تأثير هذا كله شديداً على النفس الانسانية، أدى، ويؤدي، إلى اضطرابات في الشخصية، تتسع يوماً بعد يوم، وتتعمق باستمرار، وشأن هذا الكتاب أن يبصرنا بكل ذلك، ويساعدنا على حفظ توازننا النفسي، وتالياً توازننا الشخصي. تحية للمؤلف على التفاتته إلى مسألة شائكة كهذه، ورصدها وتحليلها بمثل هذه الأناة والدقة والتفصيل، وخالص التمنيات له في ما أخذ به نفسه من واجب، يستحق الاعتبار والتقدير.

حنا مينه

## بين يدي الكُتّيب

يعيش الإنسان المعاصر أزمانٍ عدة معقدة تتناول حتى قوته اليومي، وعمله، وصحة أطفاله وسعادة أسرته... إذ يجتاح العالم تيار مادي رهيب زلزل قيمه ومفاهيمه واستقراره ووضعها في مهب العواصف والأعاصير.. وبصورة عامة فإن المرحلة التي يحيها المجتمع الإنساني بأكمله تتسم بالمشكلات المعقدة... إذ يعيش ثلاثة أرباعه تحت وطأة الجهل والفقر والمرض وويلات الحروب والظلم، في الوقت الذي استطاع فيه الإنسان غزو الفضاء الكوني.. وغدا التطور مرعباً في مجال التكنولوجيا.. وآلة الحرب.. وها هو الآن يخترق ميدان تطور العلوم البيولوجية بسرعة مذهلة، وطريقة مرعبة.. ولا يمثل كل ذلك إلا زاوية صغيرة محدودة من زوايا المسرحية الدرامية التي يحيها إنسان هذا العصر...

وبشكلٍ آخر... فالتفرقة العنصرية، والحروب، والجرائم والانهيار العائلي، والمخدرات، والإدمان على الكحول، والتشرد، والطلاق، وانهيار القيم، والتضخم المالي، والغلاء، وارتفاع الأسعار، والاستبداد والانهيار المعنوي في النفوس، والمخاوف الظاهرة منها والمستترة من الحاضر والمستقبل ليست إلا أعراضاً لمشكلات أكثر عمقاً في السلوك الإنساني المعاصر والنفس البشرية التي غدت تائهةً وسط هذا الزحام والضباب...

وغدت مراجعة المشافي النفسية مطلب بقاءٍ ووجودٍ لأغلب بني البشر... ولكن الإجابة على تساؤلاتهم ومعضلاتهم ما تزال قيد الدراسة والبحث...!!!

إن المرحلة التي يحيها المجتمع الإنساني بأكمله تتسم بالمشكلات المعقدة... إذ يعيش ثلاثة أرباعه تحت وطأة الجهل والفقر والمرض وويلات الحروب والظلم

وأخذ علم النفس يتطور ليتمكن من استيعاب المشاكل واحتوائها في عصر كُثُرَتْ تسمياته... من عصر السرعة... إلى عصر الحاسوب... إلى عصر القلق... الخ.

وبدأت العلوم النفسية تحاول تجاوز ميدان التحليل الكيفي إلى ميدان يرتكز على المعايير الكمية والاختبارات المقننة ومبدأ التنبؤ... والمعالجات الإحصائية في تقييم القدرات العقلية والمهارات والاتجاهات.. وتحديد الأغراض المحددة واقتراح مناهج التعامل معها.. و تطورت الروابط بين العلوم النفسية والطبية وغيرها من العلوم تطوراً كبيراً لمحاولة ربطها بالنواحي الاجتماعية والاقتصادية... الخ.. واتسعت مجالات الأبحاث العلمية النظرية والمجالات التطبيقية والتجريبية بشكلٍ مذهلٍ وطريفٍ.. ممّا ولدَ تقارباً وزوّد الخبراء والمختصين برؤيا جديدة أبعد مدىً، وأكثر مرونة واتساعاً وعمقاً...

إن الهدف الأساسي الذي يتصدى له هذا الكتيب (وهو نواة لمشروع كتاب في المستقبل يحمل اسم بانوراما موجزة لاضطرابات الشخصية) هو تقديم أسس علمية دقيقة وبسيطة ومعاصرة لتساعد الأخصائيين والمعنيين والمهتمين في هذا المجال الحيوي للتعرف على المبادئ الأساسية لاضطرابات الشخصية والتي تجعلهم ينتبهون ويتقهمون الحالة النفسية والعقلية للفرد ومن ثم يتقنون فن الإسهام بدور طبيعى رائد في خدمة المجتمع العربي لحمايته والارتقاء به وتطوره...

وقد ضمنت كتيبي هذا فكرة عن الطبع والشخصية، ثم فكرة عن تصانيف اضطرابات الشخصية وفق أشهر التصانيف المعمول بها عالمياً في الوقت الراهن، وأضفت تصنيفاً مختلفاً أعتقد بأنه أكثر فائدة سريرية خاصة في عالمنا العربي، ثم عرضت بإيجاز كل اضطراب من اضطرابات الشخصية مع توضيح من خلال قصص سريرية مأخوذة من الواقع لكل اضطراب،

في الوقت الذي  
استطاع فيه الإنسان  
خزوه الفضاء الكوني...  
ونحدا التطور مرحباً في  
مجال التكنولوجيا...  
وألق الحرب... وما هو  
الآن يتخرق ميدان  
تطور العلوم البيولوجية  
بسرعة مذهلة،  
وطريقة مرحبة.. ولا  
يمثل كل ذلك إلا  
زاوية صغيرة محدودة  
من زوايا المسرحية  
الدرامية التي يحياها  
إنسان هذا العصر

البعض منها من البيئة العربية والبعض الآخر من بيئات غربية وأردفتها بأمثلة من شخصيات وردت في قصص وروايات عالمية شهيرة ثم عرضت لمحة عن الخطوط الرئيسية في أسلوب معالجة اضطرابات الشخصية، ثم ملحق هو عبارة عن جدول يمكن من خلاله القيام بفحص الشخصية الذاتي ببسر وسهولة واكتشاف الخلل والاضطراب الذي تعانيه..

وبإنجاز هذا العمل تتحد الخطوط البسيطة بتناغمٍ وتجانسٍ لتشكل لوحة جميلة تضجّ بالحياة، وكما أنّ التفاصيل الصغيرة تتراكم شيئاً طويلاً لتؤلف حكايا فإنّ عملي المتواضع هذا كينبوع تعانقت فيه قطرات صغيرة من جهود غالية حتى أخرجته إلى النور.. فورودّ وياسمين لكل من له يدٌ بيضاء في عملي هذا ولكل من شاركني جهده... ولكل العيون التي راقبتني وانتظرتني.. بحب...

أشكر بحرارة الصديقة الباحثة الفرنسية الأستاذة الدكتورة ايزابيل فيليوزا الطبيبة النفسية والمستشارة النفسية في الاتصالات والعلاقات البشرية.. والصديق البروفيسور جان لبييه من باريس والصديق البروفيسور ايفان سميلوفيتش من موسكو وكل منهم أستاذ في الطب النفسي وخبير دولي ومستشار أكاديمي.. والخبير الدولي في جراحة القلب عند الأطفال الصديق البروفيسور حسان صالح علي (العالم العربي السوري الذي سجل باسمه أكثر من خمسين إبداعاً عالمياً في مضمار جراحة قلب الأطفال) نائب رئيس قسم جراحة أفات القلب الخلقية وأستاذ كبار جراحي قلب الأطفال في مركز باكوليف العالمي لجراحة القلب والأوعية الدموية في موسكو.. ويتمتع بأنظف سجل جراحي لجراح قلب خطر في العالم إذ فاقت عملياته 4000 عملية خطيرة على قلب الأطفال دون وفاة أو اختلاط يذكر.. وشقيقه خبير الجراحة العصبية الصديق الأستاذ الدكتور محمد صالح علي كبير أطباء الجراحة

تطورته الروابط بين  
العلوم النفسية والطبية  
وتغيرها من العلوم  
تطوراً كبيراً للمحاولة  
ربطها بالنواحي  
الاجتماعية  
والاقتصادية... الخ

اتسعت مجالات  
الأبحاث العلمية  
النظرية والمجالات  
التطبيقية والتجريبية  
بشكلٍ مذهلٍ  
وطريفٍ.. مما ولد  
تقارباً وازدهار الخبء  
والمختصين برؤيا  
جديدة أبعد مدى،  
وأكثر مرونة واتساعاً  
وعمقاً...

العصبية في كلية الطب بجامعة يوهان فولفغانغ غوته في فرانكفورت بألمانيا.. والصدیق الأستاذ الدكتور نبیل میقاتی رئیس قسم الطب النفسي في كلية الطب بالجامعة الأميركية في بیروت.. وخبيرة العلوم الاجتماعية الصديقة الأستاذة الدكتورة مناس الصوّاف في المملكة العربية السعودية.. فكل منهم تابع هذا العمل بصبر وشوق وأبدى ملاحظات علمية قيمة واقترحات غنية..

وإنني ممتن للصدیق الروائي حنا مینه الأديب العربي السوري الكبير الذي حول معاناته إلى إبداع ووجدت في شخصیات رواياته تربة خصبة للكثير من متاهات النفس البشرية وأمواج بحارها بهیاجها وهدوئها، كما وجدت الكثير من أثر البيئة المحیطة على نفسية المرء وكيفية التعاطي معها سلباً وإيجاباً.. وأنني ممتن للمهندسة الفنانة می سلمان التي عبرت عن مشاعرها نحو هذا العمل من خلال روعة جمال رسومها.. والأستاذة نوال صقر مهندسة الحاسب التي تابعت مراحل إنجاز هذا العمل إلكترونيًا بهدوء وروية.. والأستاذة لیلی الصوّاف على جهودهم الكبيرة..

كما أنني مدين للأستاذة القديرة وخبيرة اللغة العربية السيدة حياة سليمان التي ساهمت في التدقيق اللغوي.. والصدیق الصحفي حسن حسن الذي تولى متابعة الأعمال الإدارية لهذا العمل.. والصديقة المهندسة هويدا نظیر نعامة التي رحلت إلى ما وراء الأفق و تركت ذكرى وغصة ألم أثناء تحضير الطبعة الأولى من هذا العمل.. وإنني ممتن أخيراً إلى جميع المرضى الذين رافقوني وشاركوني وكانوا أعمدة هذا العمل..

وفي الختام أقول: من يلتقط اللؤلؤ يلتقطه بلطف.. ومن يتعامل مع الإنسان - أعظم لؤلؤة أبدعها الخالق على وجه الأرض - يجب أن يعامله.. بحب.. ويجب ألا ننسى.. أن المريض النفسي يبني قصوراً في

إن الهدف الأساسي الذي يتصدى له هذا الكتاب (وهو نواة لمشروع كتاب في المستقبل يحمل اسم بانوراما موجزة لاضطرابات الشخصية) هو تقديم أسس علمية دقيقة وبسيطة ومعاصرة لتساعد الأخصائيين والمهتمين في هذا المجال الحيوي للتعرف على المبادئ الأساسية لاضطرابات الشخصية



الخيال.. أما المريض العقلي فيسكن تلك القصور.. والطبيب هو من يقبض الأجر.. وكلي أمل أن أكون قد وفقت لتقديم ما هو جدير بالزمن الذي سيبدد أثناء قراءة هذا الكتيب...

عبد الرحمن

بيروت - 8 تشرين الأول 2001

من يلتقط اللؤلؤ  
يلتقطه بلطفه.. ومن  
يتعامل مع الإنسان -  
أعظم لؤلؤة أبدعها  
الخالق على وجه  
الأرض - يجب أن  
يعامله.. بحبه.. ويجب  
الأّنسى.. أن المريض  
النفسي يبني قصوراً  
في الخيال.. أما  
المريض العقلي  
فيسكن تلك القصور..  
والطبيب هو من  
يقبض الأجر

## مدخل

## مقاطع من دراسة تحليلية..

(... يحتوي التكوين العائلي... الذي تحياه «سحر» على عدة أمور مضطربة في تكوينها وعلاقتها.. وعلى صراعات عدة، وتوترات واخفاقات في تحقيق أحلامها.. إلى الحد الذي يهدد كيانها، ووحدها، وتماسكها، واستقرارها، وفي محاولة لا شعورية للتخلص من هذا التهديد، سَعَت العائلة لتبرير واقعها بإلقاء تبعات المسؤولية، وبصورة لا واعية على أحد أفراد الأسرة، وهذا ما حدث لكبش الفداء «أعيد» ودفع به إلى الانتحار، هذا إضافة إلى العواطف غير المتكافئة أو غير المتوافقة على الأقل مع الإهمال الواضح، للحاجات النفسية الأساسية لكل فرد من أفراد الأسرة، مما أدى إلى تواصلٍ مزدوجٍ في معظم أفراد الأسرة، اتصال مزدوج وتضارب، إذ إن التعامل مع أحد يدلّ على شيءٍ ما، أو فكرةٍ ما، أو عاطفةٍ ما وفي الوقت نفسه، هناك تصرف أو عمل يوحي بعكس ذلك، وهو موجودٌ عند معظم أفراد الأسرة، ويتضح بصورةٍ جليةٍ في «سحر».. فنقل هذه الإشارات المتناقضة ما بين السلوك والقول والفعل هو نوع من محاولة التوصل إلى التقرد والذاتية ولكن على نحوٍ فاشل، وهو ما يؤدي إلى زرع بذور الشك، وعدم الثقة واللاعقلانية في قول وفعل ذلك الشخص.

إذاً هناك خللٌ في التكوين الأسرى ككل، فالمناخ الذي يعيشه الطفل

في طفولتها كانت  
«سحر» تحاول لفهم  
الأنظار إليها، لتتلقى  
كلمات المدبج،  
والرضى بسلوك،  
انسحابي، ومن خلال  
عمل المنزل وبعض  
الأعمال اليدوية  
النسوية... أن تنال  
كلمة مدبج أو بسمه  
تجعل منها في حالة  
توازن أمام الأسرة.

ضمن أجواء أسرة كالتّي دُكرتْ يجعل علاقته بالآخرين تمتاز بالقلق، أو الشعور بالعداء الشديد تجاههم ، وبالعزلة عنهم، أو بنسبٍ متفاوتة من كليهما، ولا أريد هنا أن أخلق دون وجه حق أو انمي شعوراً بالذنب لدى أحدٍ ما فما أود قوله أن المصاعب التي تعرضت لها الأسرة في بعض الفترات، وتفاقم شدة تلك الصعوبات، هيأت تربة مناسبة لكل أنواع ردود الفعل العصبية غير المناسبة.....

«سحر» تلك الطفلة الكبيرة، كان نصيرها الوحيد ضمن أسرة تضم بضعة أحلاف من أبنائها، كل حلف له اتجاهاته، وفكره وسلوكه... وحلفها يضم «أعيد» الذي غاب منتحراً، فماذا يمكن أن تصنع «سحر»!!!... تعلقت بشابٍ تراءى لها، فيه الصدق والقوة.. وجدته البديل عن شقيقها «أعيد» بل البديل الأقوى، ومهدت دون وعي منها، وبشكل لا شعوري إلى أنه ذاك الضخم المعزز بالسلطة، والجاه، والقوة، وأعطت تضخيماً هائلاً عنه.. لم فعلت «سحر» ذلك؟!..

إذا عدتْ إلى طفولتها، أجد أنها كانت تُعامل بطريقة تختلف عن شقيقاتها فهي السمراء البشعة وفق مُزاج الأسرة، وهي الفاشلة غير المرضي عنها، والمنبوذة في لا شعور الأسرة، ليس لان الأسرة تكرهها، فلا يمكن لمخلوق أن يكره فلذة كبده، ولكن لأن أسرة تحمل كل تلك العُصابات تحتاج إلى توازن، وهذا التوازن يتحقق باختيار لا واع لكبش فداء تتجمع كل عثرات الأسرة فيه... هذا الكبش بين الذكور كان «أعيد» وبين الإناث «سحر»..

وبطبيعة الحال فإن كل كائن يحاول إظهار نفسه بالشكل الأمثل، ويدافع عن توازنه، وبقائه... في طفولتها كانت «سحر» تحاول لفت الأنظار إليها، لتتلقى كلمات المديح، والرضى بسلوك انسحابي، ومن خلال عمل المنزل وبعض الأعمال اليدوية النسوية... أن تتال كلمة مديح أو بسمه تجعل منها في حالة توازن أمام الأسرة.

تدخل «سحر» الحياة الجامعية بتوجسٍ وخيفة، محتاجة دائماً إلى الاعتماد نفسياً على أحدٍ لكي يكون القائد والموجه لها، فما تعلمته، وتلقنته في المنزل جعلها تسلك هذا الطريق دون إرادةٍ منها، ودون نصيحٍ عقلي أو عاطفي

من هنا نستنتج أنها كانت تعيش في خوفٍ دائمٍ، وعدم رضى، وعدم ثقةٍ بالنفس، وبالتالي العجز عن اتخاذ أي قرار خوفاً وتحاشياً لردود الفعل التي كانت توحى غالباً بعدم رضى الأسرة عنها... وتتفاقم الأمور مع توالي السنوات، وتزداد الضائقات الاقتصادية وغيرها، ويصبح عددٌ لا بأس به من أفراد الأسرة في الجامعة.

وتدخل «سحر» الحياة الجامعية بتوجسٍ وخيفة، محتاجة دائماً إلى الاعتماد نفسياً على أحد لكي يكون القائد والموجه لها، فما تعلمته، وتلقته في المنزل جعلها تسلك هذا الطريق دون إرادةٍ منها، ودون نضجٍ عقلي أو عاطفي، إذ تبدو كطفلٍ بعيدٍ عن ثدي أمه يعيش حالة الهلع والخوف، وهنا كانت مشكلة أخرى بعيداً عن أمها وإخوتها في جوار شقيقتها «خولة» التي سبقتها إلى الجامعة بسنوات، كانت «سحر» تحتاج «خولة» لأنها تحتاج لأحد تتعلق به، وتعتمد عليه لتضمن عدم توترها الداخلي ولتضمن الاتزان، والاستقرار، بل وحتى المديح، شقيقتها «خولة» أبعدتها عنها وفضلت مساكنة فتاة غريبة..... وإبعاد «سحر» بالشكل الذي جرى، رسخ قناعتها بذاتها أنها فاشلة، منبوذة غير كفءٍ لأي شيء. وتأتي ردود فعل الأسرة لتدعم هذه الأمور في تفكيرها، وعقلها ووجدانها، وتثبتها كالوتد، من الطبيعي أن لا يبقى لـ «سحر» سوى شقيقتها «أعيد» ومن الطبيعي أن تنظر إلى نفسها على أنها لا تستحق أي شيء، وكان اعتمادها كاملاً في تلك الفترة على «أعيد» وعقدت عدة اجتماعات في الأسرة لبحث موضوع الغريبة. باءت جميعها بفشل «سحر» في استقطاب الأسرة نحوها ضد الغريبة، بل على العكس تعلقت الأسرة كاملة بالوافدة الجديدة خاصة أنها أمدت الأسرة بمعوناتٍ اقتصادية وأصبحت الأمر الناهي في الأسرة... والأسرة فضلت الغريبة عليها، فكيف يمكن أن تغفر «سحر» وكيف يمكن أن تفهم تلك المعادلة الصعبة.

العنيد شخص يفتر  
إلى الوضع، مفاهيمه  
فاسية، وذهنه مستنفر  
وأفقه ضيق، ويسعى  
دوماً دون إرادة منه  
إلى التسويات العرجاء  
وتخير السليمة لأي أمر  
يعترض طريقه، وهو لا  
يهتدي إلى مبادئ  
ومواقفه عطفية  
ومتسامحة نحو نفسه  
ومع محيطه، بل ينظر  
إلى الأمور وكأنه غني  
عن التعلم

«سحر» في تلك الفترة وفي معظم فترات حياتها انعكاسية تفكر لاحقاً في أمر أو كلمة أو تصرف، مما عزز لدى الأسرة كاملة القناعة أن «سحر» غير واعية وعزز لديها شعورها الدائم بالدونية والفشل، وزاد من ذلك تكوينها الوراثي، فبنيتها الوراثية تتميز بالعناد والصلابة في التفكير، وتبدو قاسية قساوة البيتون المسلح.

والعنيد شخص يفتقر إلى الوضوح، مفاهيمه قاسية، وذهنه مستنفر وأفق ضيق، ويسعى دوماً دون إرادة منه إلى التسويات العرجاء وغير السليمة لأي أمر يعترض طريقه، وهو لا يهتدي إلى مبادئ ومواقف عطفية ومنتسامة نحو نفسه ومع محيطه، بل ينظر إلى الأمور وكأنه غني عن التعلّم، والشبه الكبير بينه وبين من يضع نظارات ملونة على عينيه، يرى كل شيء من خلال لون عدساتها، ولا يمكنه أن يرى الأشياء بألوانها الحقيقية، والمرء مجبول بالفطرة على حب التعويض في أي نقص يشعر فيه بشكلٍ واعي، وغير واعي، فأمر طبيعي أن يتعزز التعويض.. والمرء هنا يعوّض من خلال التعلّق بكل الأشياء، والموجودات، ويخيل إليه أنه الحب، والحب.. عقلية مرنة قبل أي شيء... تتجاوز أطر نواتنا المنكشمة... التي نعطيها أهمية كبرى... والحب فعلاً خلاقٌ يصل الكائن البشري بجواهر الأمور وحقائق الأشياء... وليس الحب أبداً كما يراه ويعتقده البعض على انه تملك وامتلاك... ولكنه هبة الله... أما التملك فهو نوعٌ من التعلق.. وحلٌ للصراعات بطريقة لا شعورية يحقق الأمن الداخلي للمرء بصورة مؤقتة، وأنية.. ويهتز المرء وكأن الأرض قد زلزلت تحت قدميه عندما يشعر بخسارته لما يمتلك.. والتملك يجعل المرء متمحوراً على ذاته، وحولها فقط، وهو كذلك خوفٌ داخلي.. ولا يمكن أن نجد حياً ناضجاً وتفكيراً سليماً في حالة الخوف.

في سنوات الطفولة  
ينبغي للطفل أن يرى  
علاقات متوازنة بين  
الأبوين. ويمر بمراحل  
نضجه العقلي  
والعاطفي والنفسي  
والجنسي بسلام،  
وتجاوب دور أحد  
الأبوين أو كليهما، أو  
وجود ظل ما بينهما أو  
بينهما وبين الآخرين...  
يؤثر على نمو وتطور  
شخصية الطفل

وإذا ما راقبنا تصرفات «سحر» وأقوالها نجدها.. تعلقاً وتمكلاً، فالطفل الذي تُقدّم إليه لعبة ما، يطير بها فرحاً، ويفقد صوابه وينفجر انعكاسياً إن حاول أحد من أترابه المساس بها.

نلاحظ أن هذا الطفل عندما تُقدّم إليه اللعبة ينشغل عن الكون برمته، ويتفرغ لها وكأن الملائكة قدمت له الدنيا بأكملها، وتتفجر البراكين وتزمرج الأرض زلزالها، إن حاول أياً كان المساس بهذه اللعبة، ثم نجده بعد فترة وجيزة من الزمن يملّ هذه اللعبة وقد يرميها أو يحطمها أو يهبها لأحد ما... وإذا عدنا إلى سلوك «سحر» ألا نرى أنها كبيرة الشبه بسلوك ذاك الطفل من الناحية النفسية على الأقل!؟

ولتعد قليلاً إلى الأسرة فتكوينها جعل من الأم التي تمتلك أصلاً الاستعداد والمؤهلات لان تكون المسيّرة، والمسيطرة والقائد... فحب القيادة، والبروز والزعامة واضح لديها، والسيطرة واضحة بشكل جلي.. وكوّنها تربّت في كنف شخص ما، ووفق ظروف ما من الجاه والعز، ومحط أنظار الآخرين جعل منها ذات أنفة، وعظمة، ثم انتقلت إلى أسرة أخرى بحكم زواجها لتتعامل مع عقلية، وظروف، وبيئةٍ مختلفةٍ تماماً، فكانت الهوية بين ما كانت فيه وما آلت إليه... فحررت توازنها بالسلفيات، والماضي والذكريات، وبدأت تقود الأسرة وفق عقليتها تلك، إذ نظراً لغياب دور الزوج اضطرت لقيادة الأسرة وأطلقت العنان لعدم توازنها... فأحاديثها، وكلامها هي طاقة ذهنية تعبّر عن مكوناتها الداخلية..

أما الأب فنرى من خلال سيرة حياته الاضطهاد الواضح، والشك بمن يحيط به بنسبٍ متفاوتة وكأنه يتوقع أو ينتظر الغدر منهم، عدا عن حبه الكبير للعظمة، والقوة، والجاه، إضافة إلى افقه المحدود في التفكير. ومحدودية فهمه المعنى لأي شيء يُقال، وأيّ تصرف يُسلّك، باختصار شديد

أن الذكور طعموا  
بشيء من الأنوثة  
المعنوية. والإناض  
بالسلطوية والذكورة  
المعنوية. وهذا أدى  
إلى أن الذكور أو  
معظمهم ربح ما بلغوا  
من الرشد والعمر، غير  
قادرين على التعامل  
مع الإناض، أو على  
الأقل فاضلين في  
ذلك، والإناض في  
الأسرة غير قادران  
أيضاً على التعامل  
بشكل منطقي مع  
الإناض...

الأب في حالة من فصام الذهن المزمن ( غير المفروق ) وهو أشبه ما يكون بالعتة الشخي المبكر.....

في سنوات الطفولة ينبغي للطفل أن يرى علاقات متوازنة بين الأبوين، ويمر بمراحل نضجه العقلي والعاطفي والنفسي والجنسي بسلام، وغياب دور أحد الأبوين أو كليهما، أو وجود خلل ما بينهما أو بينهما وبين الآخرين.. يؤثر على نمو وتطور شخصية الطفل وقد لا يبدو هذا واضحاً في الطفولة الباكرة لكنه يبدو جلياً في المراهقة أو مراحل النضج والرشد، وفي الأسرة التي ضمت «سحر» نجد أن السلطة، والسيطرة، والقيادة للام على الأبناء. مما أدى إلى دلال الإناث بصورة غير سليمة، وكبح الذكور بطريقة غير سليمة أيضاً.

ويمكن القول أن الذكور طعموا بشيء من الأنوثة المعنوية. والإناث بالسلطوية والذكورة المعنوية، وهذا أدى إلى أن الذكور أو معظمهم رغم ما بلغوا من الرشد والعمر، غير قادرين على التعامل مع الإناث، أو على الأقل فاشلين في ذلك، والإناث في الأسرة غير قادرات أيضاً على التعامل بشكل منطقي مع الإناث... فهالك كره وعداء لا شعوري نحو الأنثى عند كل من الذكور والإناث في الأسرة.

حقيقة أن الآباء يأكلون الحصرم، والأبناء يضرسون... والمنطقي أن يغدو كل فرد من أفراد الأسرة عصابياً بطريقة أو أخرى، كلٌ وفق طاقة تحمّله، ووفق بنيته، ونضجه الصحي والنفسي، مما أدى إلى الانسحابية، والسلوك المدمر للذات عند «أغيد» أودى به إلى ختم حياته منتحراً، والى الاكتئاب ثنائي القطب بطوريه الهمودي والهوسي عند «عمران» والى القرحة المعوية عند «يسر» والى عشق الذات وعبادتها النرجسية عند «ماري» والى الاكتئاب والشخصية المدمرة للذات عند «سحر» والى..... عند «خولة» والى.....

كل فرد من أفراد  
الأسرة له محابه  
الخاص به. والعصابي  
لا يتألم حباً وعشفاً  
بالألم.. لكنه لا يدرك  
ولا يدري بأن محابه  
انطلق... وأمنه  
الداخلي منوطاً به

فكل فرد من أفراد الأسرة له عصابه الخاص به. والعصابي لا يتألم حياً وعشاقاً بالألم.. لكنه لا يدرك ولا يدري بأن عصابه انطلق.. وأمنه الداخلي منوطٌ به، والعصاب قبل كل شيء، رد فعل دماغي ونفسي وبحث لا شعوري عن الأمان ومحاولة للتكيف والتعايش والالتزان مع النفس والمحيط.. والعصاب في سن الرشد ما هو إلا تكرارٌ يقتصر على وضع عصابي خاص في مرحلتَي الطفولة والمراهقة.. والعصابي في حالة حصارٍ دائمٍ من الناحية الذهنية، وهو كما ذكرت ضربٌ من ضروب التكيف.. ويجلب إحساساً مزعجاً ودائماً، ومتناوباً من الاستياء المتوالي والدائم من الذات ومن الآخرين، فالعصاب لا يمكن أن يولد الاستقرار والهدوء والطمأنينة... والإناث في الأسرة رفضن قانون الحياة. والذي يدعي وفق مجتمعنا، المجتمع الذكوري.. أي رفضن الخضوع لقانون الذكورة، لأنهن يردن تعويض شيء ما في تكوينهن النفسي، فبدون وعي منهن بشأن يبغضن الذكور.. والأنتى هنا ترغب لا شعورياً بإذلال الرجل... وتغار من الرجل.. وفي نفس الوقت تحتقر الأنوثة.. والغيرة هنا مصدر ألم قاتل للأنثى دون وعي منها، وعرضٌ من أعراض ضعف وجداني، وعدم نضج نفسي، وفقر تربوي... والغيورة تعتقد أنها تحب، لكن ما تبخته ليس سوى البحث عن أمنها الداخلي الخاص، فتقع هنا في التعلق.. وكل ما يحمله المرء من موروثات وتربية تولد قناعات وآراء وتناقضات تقبع في أغوار النفس البشرية، وهي توجه من ذاك العمق الخفي حياة الإنسان، وتحددها، وهنا يعيش المرء المتناقضات والصراعات والرياء الشعوري إن جاز لنا القول (.....).

العصاب قبل كل شيء، رد فعل دماغي ونفسي وبحث لا شعوري عن الأمان ومحاولة للتكيف والتعايش والالتزان مع النفس والمحيط.. والعصاب في سن الرشد ما هو إلا تكرارٌ يقتصر على وضع عصابي خاص في مرحلتَي الطفولة والمراهقة



الكتاب العربي "نفساني": العدد 4 - 2006

---



---

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2006

أ. د. محمد الرحمن إبراهيم

تاريخ الميلاد: 09 - 05 - 1964 ، حماه - سوريا

الاختصاص : الطب النفسي



■ الشهادات العلمية

- اجازة دكتور في الطب البشري.
- Ph.D في الطب النفسي.
- دكتوراه بدرجة استاذ في علوم الطب النفسي.
- دبلوم في التحليل النفسي.
- دبلوم في المعالجة النفسية.

■ الممارسات المهنية:

استاذ محاضر و زائر في عدد من الجامعات العربية والأوربية، مستشارونائب رئيس مركز الدراسات والأبحاث النفسية العربية الروسية، مستشار معهد بافلوف للأبحاث الفيزيولوجية السلوكية، مستشار مناهج الطب النفسي للعديد من الجامعات والأكاديميات العربية والأجنبية، مستشار أكاديمية L.N.B.2 للعلوم النفسية، مشرف على تطبيق برامج المعالجة النفسية للعديد من المشافي والمستشفيات والمراكز الصحية، مستشار لمجموعة مشافي خاصة في ألمانيا...

■ المؤلفات النفسية:

فكرة وجيزة عن: 1.اضطرابات الشخصية، 2.الفص النفسي والعقلي، 3.الاكتئاب، 4- معالجة الاكتئاب، 5.الضامى، 6.معالجة الضامى، 7.المعالجة النفسية، 8.فحص الحالة العقلية الحاضرة، 9.أسباب الاضطرابات النفسية، 10.الأليات النفسية، 11.الأدوية النفسية، 12.ميليس في فحص التحليل النفسي (باللغة العربية، الفرنسية، الانكليزية، الألمانية، الروسية)

■ المؤلفات الأدبية: - مجموعة نواطر ، مجموعة قصص قصيرة

- اشراف على ترجمات: الدرع العالي في: الطب النفسي / الفص العصبي / علم السلوك
- المبادئ الأساسية لفهم الطفل من خلال رسومه

إصدارات مؤسسة العلوم النفسية العربية

جميع الحقوق محفوظة للمؤلف 2006